النظريات الحجاجية
وإشكالية تعليمية اللغة العربية

الطالب: كحلول عبد القادر **إشراف الدكتور: رشيد بن يمينة**

جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر **جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر**

نهدف من خلال هذه المساحة إلى القبض على أسرار النظريات الحجاجية من خلال تفعيل آليات وتقنيات اللغة العربية بصفتها حمالة لجوانب حجاجية كثيرة أو ما يطلق عليه بمصطلح الوظيفة الحجاجية "Intrinsèque" كما أنها تتميز بخاصية الروابط الحجاجية المتعددة أو ما يسمى عند ديكرو وأنسكومبر ب " la pragmatique intégrée" خاصة في ظل صعوبات إيصال المعلومة عامة وتعليمية اللغة العربية خاصة وفرض منطقها من خلال نظرية الحجاج الذي أولته الدراسات العلمية الأوربية والأمريكية باهتمام منقطع النظير وفق آليات المحاورة والتواصل قصد إيصال المعلومة وإثباتها بالفعل الحجاجي التداولي بناء على آليات الاقناع.

الكلمات المفتاحية: الحجاج؛ اللغة العربية؛ التعليمية؛ الروابط الحجاجية؛ التداولية؛ الإقناع؛ التواصل؛ المحاورة.

The Argumentative Theories and Issues of Arabic Language Didactics

Abstract: Through this corner, we aim to seize the secrets of the argumentative theories by activating the mechanisms and techniques of the Arabic language as it carries many aspects of argumentation, or what is called by "intrinsic argumentation". It is also characterized by the feature of multiple argumentative links, or what is called by Decro and Anscomber as “The Integrated Pragmatics”. Also in light of the difficulties of communicating information in general, and didactics of Arabic in particular while imposing its logic through the theory of argumentation; where European and American studies have accorded unrivaled interest to it and to its mechanisms of dialogue and communication, in order to convey the information and prove it by virtue of deliberative argument based on the mechanisms of persuasion.

Keywords: Argumentation, Arabic, Educational, Argumentative links, Pragmatics, Persuasion, Communication, The Conversation.

تسعى النظريات العاملة في حقل تعليمية اللغات إلى إيجاد السبل وابتكار الوسائل الفعالة والفاعلة التي تمكنها من فك شفرات الإنصات والاستحواذ على الانتباه لدى المتلقي،

تاريخ تسليم البحث: 05 أوت 2016.

تاريخ قبول البحث: 01 ماي 2017.

وهذا ما شكل هاجسا يؤرق فكر الحاملين تدريس وتعليمية اللغة عامة واللغة العربية على وجه الخصوص. فقد تسرب الريب إلى نفوس المدرسين للغة العربية إذ جابهتهم معضلات لعل أبرزها ذاك النفور أو الخوف الذي يصاحبه الملل والذي ارتبط دهرا بالطرائق البدائية في تعليمية اللغة العربية وهذا ما انعكس سلبا على المحصول اللغوي المرجو حيث حاولت كثير من الدراسات العمل على الاستفادة من النظريات وإيجاد الخيارات التي من خلالها نصل إلى نتائج أكبر تمكننا من بناء التعلمات وتفعيلها بعيدا عن سبل ومقررات التدريس القديمة وتطوير المناهج التعليمية مسايرة لعجلة الزمن التي لا تتوقف، وفي ظل هذا التغير المفاهيمي والمصطلحي والتسارع التكنولوجي المخيف بات لزاما على كل منتسب لهذه اللغة أن يتوجس خيفة ليس على اللغة وإنما على متعلمها عبر الأطوار التعليمية على اختلاف مراتبها.

أثرت الأساليب التدريسية المنمطة التي حجبت قنوات التواصل بين المتلقي والباث وكبلت إمكانيات المتعلم الإبداعية فصار خاضعا مبرمجا منقادا لما يملى عليه، وعليه أحاول من خلال هذه الدراسة المقاربة بين النظريات الحجاجية والتداولية لإرساء تقنيات وآليات تعليمية اللغة العربية بما يمكّننا من الإفادة من أهم النظريات التي ترتكز عليها في تعليمية اللغات وفق المنظور الحجاجي ومحاولة التنقيب والكشف عن أسرار النجاح فيها وتجسيد استراتيجية لغوية واضحة لدعم تعلمها وفق منهج أصلح لتعليم اللغة العربية في ظل التحديات ومحاولة استثمار الخصيصة الحجاجية التي تتميز بها اللغة وهي الفكرة التي يشير إليها **أزوالد ديكرو في** وجود قوة حجاجية لكل الملفوظات، وهذه الرؤيا تجعل الحجاج ليس قوة خارجية تكتسبها اللغة بل هي قوة داخلية كامنة فيها يولدها مستعملو هذه اللغة.

أبعاد الحجاج وآفاق القراءة: لم يكن النص الحجاجي أبدا مقصورا على الجدل كما يخيل للبعض فالحجاج بعد فكري إقناعي قائم على التعاون كما يطلق عليه **بول غرايس" Paul Grice"** بمبدأ التعاون والذي يحيلنا حتما إلى النظرية الحديثة في التعليمية **"المقاربة بالكفاءات "**، والخطاب لا يتحقق له ذلك التمكين في نفسية المتلقي وفكره إلاّ إذا كان مشحونا بكثير من الحمولة الحجاجية أو ما يسمى **ملكة الإقناع** وهذا لا يتأتى إلاّ للنخبة التي تحتوي عقول المتلقين بقوة البيان وحداثة الآليات والتقنيات الإقناعية دون إغفال نظرية قوانين الحوار لبول غرايس التي تعد أكثر انتشارا في الدراسات الحديثة من أجل بلوغ أعلى هرم في سلم التأثير. متجاوزين بذلك النمطية وهذا ما يشير إليه أيضا **أوستن "Austin"**.

والتداولية مجالها واسع حيث توفر الأدوات والميكانيزمات التي من خلالها يُخترق النسيج النصي فتوفر للمتكلمين الشروط التي تمكنهم من الاستعمال الجيد للعلامات التداولية المطبقة على مختلف اللغات والتي تضمن القدر الكافي لآليات النجاح كما أنها تلتقي وما تسعى إليه

النظريات الحجاجية تحقيقا لنجاعة الدائرة التواصلية. إن مفهوم الحجاج عند **برلمان وتيتيكا** وغيرهما عملية استدلال عقلي تؤدي إلى التسليم بما يعرض من أطروحات وهو بذلك يدرس تقنيات الخطاب التي تمكن المتكلم من تغيير نظام المعتقدات والتصورات لدى المخاطب بواسطة الوسائل اللغوية.[1]

ركزت اللسانيات التداولية في نظرياتها على الجانب الوظيفي للغة وعلى الكيف لا الكم فيما تعلق بالجانب التداولي وطرائق استعمال الكلام والمهارات والقدرات التي من شأنها تفعيل وإنجاح العملية التعليمية التعلمية ولا يكون ذلك إلاّ من خلال الاستثمار في الجانب التكنولوجي، والعمل على تجاوز مطّبات واختلالات المقررات التربوية القديمة والاستفادة من كل القدرات التواصلية التي من شأنها تفعيل العلاقات التواصلية بين أقطاب المثلث البيداغوجي.

كان للنص وجود قوي في الدراسات بمختلف أنواعها وتخصصاتها. وصار محورا لكل العلوم خاصة التي تعنى بالجانب الدلالي والتداولي ودراسة بناء النص وطرق الصيانة وغيرها.

فالخطاب اللغوي فضاء للحجاج، مما يجعله مرتبطا بالإشكالات التي تثيرها البلاغة ولسانيات الخطاب والتواصل، حيث تهدف النظريات الحجاجية من خلال تقنية الإقناع إلى تفعيل التعليل في الوضع التواصلي وتقنياته، وذلك بهدف تحقيق فعل التأثير على المتلقي وإيصال المراد بعيدا عن التأويلات الفضفاضة والتي تحتمل أكثر من وجه مما يعيق حركة التواصل ويحجب قناة الاتصال ويصدها عن أداء المراد.

تركز نظرية الحجاج أو ما يعرف **بالبلاغة الجديدة** على الفعالية الحجاجية اللغوية معتمدة في ذلك على علوم كثيرة كالمنطق والفلسفة واللسانيات وعلم النفس والاجتماع وغيرها من الحقول المعرفية الأخرى، وما يهمنا في هذه النظرية أساليب ووسائل الإقناع المتبعة للتأثير في المتلقي واستمالته ثم إلزامه وهي تقنيات تعد ركيزة النصوص المتضمنة للمقصدية، فالمبدع يسعى لخرق أفكار القارئ وأفق التوقع لديه وزرع فكرة معينة ثم إبطال سلوكيات أخرى كانت في الماضي القديم من المسلمات لديه ولا يتم ذلك إلّا باتباع سبيل المفاوضة والغلبة ثم الإقناع، وهذه التقنية التي تعتمدها النظرية جعلت منها أهم وسيلة تتخذها الخطابات السياسية والقضائية والإشهارية والأيديولوجيات وغيرها للدعاية والتواصل والتأثير.

تعمل النظريات الحجاجية على التقنيات الخطابية وتطويرها ومحاولة تجسيد ذلك وفق تقنيات حديثة تسمح باستغلال طرائق النقاش والحوار وفن الجدال وهي في كل هذا تريد أن تتجاوز بذلك الحجاج المعياري الذي يركز على التأثير في السامع عن طريق الخطاب الجدلي لا غير.

فالنظرية الحجاجية الحديثة تركز على المتلقي وأساليب الإيصال والإقناع، فإنجاح الخطاب يكمن في مدى مناسبته للسامع وطبيعته ومدى ملائمة التقنيات المتخذة على الاستمالة والترويض وفق مراحل مرتبة ومدروسة أو ما يطلق عليها في النظرية **بالسلالم الحجاجية**، إن السلم الحجاجي والتوجيه الحجاجي يختصان إذن بالعلاقة الحجاجية سواء حددت لسانيا أم تداوليا. [2]

وحتى يتجلى الخطاب ويبتعد قليلا عن متاهة التأويلات فيكون أشد وقعا على المتلقي تستعين النظرية بترسانة من الآليات البلاغية محاولة بذلك بناء الهيكل الحجاجي واحترام قانون العبور كما أسماه **تولمانLoi de passage))** ثم إن **العلامة الحجاجية** (الكلمة) يجب أن تخضع لتمحيص واختيار وتشحن بكثير من الحمولات التي تفتقدها كلمات أخرى من جنسها حتى تؤدي دورها على أكمل وجه. إن المقصود بحركة الكلمة الحجاجية مزاحمتها غيرها من الكلمات التي هن من جدولها المعجمي أو هن من غير جدولها المعجمي. [3]

وهذا ما يظهر مثلا في المفردة القرآنية والتي تفهم بمعزل عن نظم الكلمات الأخرى وتراكيها وهي تؤدي بذلك دورا حجاجيا هائلا داخل التسلسل اللفظي الذي يشد بعضه البعض، فالنص الحجاجي يستحضر آليات بيانية خارقة وفاعلة لتحقيق المراد فعملية الانتقاء والاختيار والبحث كلها استراتيجيات حتمية في وسط حشد الكلمات اتقاء للابتذال والعفوية.

ذهب بعض المفسرين المحدثين الناظرين في الإعجاز العلمي في القرآن إلى أن الآية تشير إلى معجزة البصمة التي لا تتكرر بين إنسان وآخر. فكيف يمكن استخلاص قول في الآية يتلاءم مع معنى الآية ومعنى المفردة من دون ان ينفصل هذا التأويل عن محاولة تبين بعد حجاجي ما[4].

فالعلامة الحجاجية (المفردة) لا يتحدد معناها بعيدا عن الكلمات الأخرى التي تسهم في تكوين قيمتها الدلالية وهذا ما عبر عنه أحد الباحثين حيث قال: "نعتقد أن فهم التمثيل على هذا النحو يجعله آلة لنسج خيوط خطاب ما مكون من عدة أجزاء لكون الجزء لا يعني شيئا إلا بانتظامه في الكل الذي يصنعه التمثيل "[5].

وعليه ليست حجاجية المفردة القرآنية بمعزولة عن حجاجية التركيب أو الجملة أو الآية أو السورة أو النص...ولكننا حاولنا تبيين حجاجية المفردة بوصفها نواة دالة على إسهام هذا العنصر اللغوي المحدود في توليد طاقة حجاجية فعالة ذات مدى بعيد في تبليغ مقاصد القول[6].

التقنيات الحجاجية الآفاق والأبعاد: سمحت التقنيات الحجاجية للغات أن تنفتح على أبعاد حديثة، في العملية التواصلية خاصة ما تعلق منها بالعملية التعليمية التعلمية

وجعلت آفاق الخطاب تتسع أمام الموجه والمدرس لهذه اللغة تسهيلا لعمليات التواصل وطرق الاقناع وإيصال الكلام للمتلقي.

ومن الإشكالات التي آرقت المدرس على إيصال المعلومة قضية التلقي والفهم لدى المتعلم وطريقة استيعابه وتأويله للمعلومة أو العلامة وما الغاية منها وهل المعلومة تصل الى المتلقي حسب مراده دون تأويلات جانبية وكذا تأثر الرسالة بظروف الكلام والعناصر السياقية التي تحدد القصدية "Intentionnalité"، في وظيفة اللغة وما هي الاستراتيجيات المتبعة لدى مستعملي اللغة للوصول إلى فاعلية أكبر تمكن من بناء التعلمات وتطوير المفاهيم والمناهج التربوية والعمل على تدعيم وتوطيد العلاقات بين الموجه (المعلم) والمتلقي (المتعلم) والوسط التربوي.

تكمن قوة التأثير والإقناع على تمكن المبدع الباث من امتلاك خيوط وأسرار اللعب على أوتار القارئ كأن يمتلك أسرار ترتيب السلالم الحجاجية ويحسن توظيفها حسب دعواه وما تقتضيه حمولة واستراتيجية الخطاب أو النص عموما، وما يجعل النص في غاية الإثارة هو محاولة الوصول إلى الإقناع الإرادي دون الضغط أو الإكراه على الاقتناع وهو ما يجعل المتلقي يخضع ولا يبدي أي مقاومة فكرية.

فالإقناع تقنية أساسية وآلية لا يمكن إغفالها في الخطاب الحجاجي، يقول **موليني**: "فن الإقناع هو في نفس الوقت تقنية ومهارة وبراعة فنية راقية. ووسيلة الإقناع هي أساس اللغة بكل مكوناتها وبكل أشكالها الخارجية المتغيرة غير المستقرة والأكثر حيوية. إن فن الإقناع هو مجموعة الخطابات المنطقية التي تجمع اللفظي والنفسي والمنطقي، المعنوي أو العاطفي والاجتماعي. [7] فالإقناع هو حمل المستمع (المتلقي) أو القارئ على الامتثال إلى فكرة حتمية سواء بالاتباع أم الترك.

إن تأثر المتلقي يتم من خلال نوعية الحجج والتي في كثير من الأحيان يختارها المبدع وفق القراء، وكأنها طُعم يستدرج بها الباث الأفكار والميولات لإثارة المتعة لدى المرسل إليه، ولا يكون ذلك إلاّ من خلال دراسة جدّية لطبيعة النفوس والعقول تحقيقا للانسجام.

تعليمية اللغة العربية معوقات الإيصال وإشكالية التأويل: تصاب قناة الاتصال أحيانا بالانسداد جراء اتساع المعلومة وركوبها عدة تأويلات مما يؤثر سلبا على المتلقي ومقصدية الخطاب، وفي المقابل تسعى البلاغة الجديدة إلى فك ما استغلق على المتلقي بالبرهنة والاثبات حيث يسعى "المتكلم على إيصال الشفرة إلى السامع بواسطة رسالة في مقام معين"[8].

أحاول من خلال هذا الطرح أن أساهم في بلورة فكرة كثيرا ما اعتقدت انها تمكنني من انتشال واستدراج القارئ ليس بعد خرق أفق توقعه وحسب وإنما بعد حل عقد ومكونات

كيانه الفكري وإشعاره بالطمأنينة لفكرة ما حتى يستسلم فيذعن وعندها يُرمى في غياهب النص وقد أذعن لقوة الحجج وأنا لا أركز في هذا على إثبات المتفق عليه والمثبت أصلا ولكن المتعة كلّ المتعة في إثبات كل ما هو خيالي أو اللامعقول أو المرفوض حسب معتقده باختراق التصور الذهني للقارئ بعد دحض كل المسلمات والتفوق في الجدل القائم بين المرسل المحاجج والنص أو بين الباث والقارئ من خلال تنقية قنوات الاتصال لتصل الرسالة على أحسن وجه.

والنص يحتاج إلى تمكن المتكلم من اختيار التراكيب وفق ما يلائم ويتناسب مع المراد " فالحجاج لا يتم شكلا إلا إذا استطاع المتكلم أن يبني الوحدات اللغوية وفق نسق مضبوط ومحكم "[9].

فلا يمكن بحال أن تخضع الوحدات اللغوية إلى العشوائية وإنما يختار الباث المفردات الأكثر تأثيرا وفق اعتبارات مدروسة تخضع للبعد الدلالي والحجاجي للمفردة كما أن التداولية تمكنا من اختيار الأدوات والآليات التي تتحكم في الخطاب، والحجاج آلة وواسطة يستعملها المحاجج بناء عل فعل تأويلي قرائي اندرجت تحت مفاهيم يحاول إلزام غريمه بها وإبعاده من مقاصد أخرى ومحاولة دحضها بالحجة. محاولا بذلك إثبات آرائه فنظرية الحجاج والتداولية يبحثان في الخطاب اللفظي وبعبارة أخرى فإن كل خطاب حجاجي تبرز فيه مكانة القصدية والتأثير والفعالية وبالتالي قيمة ومكانة أفعال الذوات المتخاطبة [10].

إنّي أريد بذلك شل تلك الحركات العقلية النافرة والمحاولات التفكيرية المعارضة لفكرتي نفاذا إلى المنظومة العصبية لأصل إلى أرضية القبول والترحيب وشدّ انتباه المتلقي فيبهت لما يخاطب به دون أي مقاومة أو معارضة تذكر وهذا على الأقل ما تصبو النظريات الحديثة إليه خاصة التعليمية منها لانعدام وانقطاع حبال التواصل بين الأستاذ الموجه والمتعلمين في مختلف الأطوار التعليمية ومازالت الدراسات الأكاديمية تعمل على أنجع السبل للخروج من تلك المعضلة.

إن المتعامل مع النص هو ذلك القارئ الذي يتجول بين أزقة الكلمات مفجرا كل الدلالات اللغوية الضيقة محاولا ربط الأفكار المتناقضة ومستغلا الحجج الدامغة لتحقيق الانسجام الحجاجي والتداولي في الخطاب والذي من شأنه أن يقصي كل وجهات النظر البديلة وصولا إلى القناعة الحتمية وهذا ما يشير إليه **أزوالد ديكرو** بأن للكلمات أو الألفاظ شحنات حجاجية يفجرها ذلك المحاجج المبدع والمتمكن فيوظفها حسب ما تقتضيه نواميس العصر وما تفرضه خصوصية السياق دون إغفال قوانين إدارة الخلاف.

نحن نعلم أن الدرس البلاغي أولى اهتماما بقضية الحجاج لكن مازالت أبعاد الحجاج تحتاج إلى إعادة القراءة وأن تفعّل وفق ما تقتضيه الظروف الراهنة و" الحجاج في الدرس

البلاغي المعاصر قد برز الاهتمام به من خلال الحقلين النقدي واللساني خاصة والإنساني عامة وفي مجالي المشافهة والكتابة وقد حصل هذا الاهتمام بعد الثورة التي عرفها الدرس اللغوي"[11].

وعليه فلا ينبغي حصر الحجاج بمفهومه المعجمي الضيق وفي ذلك الجدل الساعي إلى إثبات الرأي المخالف دون الاستفادة من مرونة النظرية الحجاجية وأبعادها، كما أن اللغة في حد ذاتها تتجاوز الصفة الإخبارية ويمكنها أن تحمل دلالات أخرى، " لقد اثبتت البحوث الحديثة الحاجة الماسة لنظرية الحجاج باعتبارها أنجع المجالات التداولية وأن الحجاج يوجد حيث ما وجدت اللغة". [12]فاللغة حجاج محض إن كثير من العلوم والمناهج والدراسات خاصة ما تعلق منها بالمناهج التربوية وسبل التدريس تسعى إلى صناعة ذلك المتلقي الفعّال والايجابي في تعامله مع المعلومة ومحاولة ابتكار قنوات التواصل والوصول إلى التهيؤ والقبول الذهني للمعلومة "فالتمويهات تكون فيما يرجع إلى الأقوال والاستدراكات تكون بتهيؤ المتكلم بهيئة من يقبل قوله أو باستمالته المخاطب واستلطاف له حتى يصير بذلك كلامه مقبولا "[13].

وهذا دون إغفال أحوال التلقي حتى تتم استمالة العقول وتحقيق الغاية وهي الإذعان والاقناع وتوجيه سلوك المتلقي الذي بدوره يسهم في اكتمال الدائرة التواصلية ومحاولة تفعيل الخطاب وإعادة انتاجه وهذا ما ركز عليه الفيلسوف القانوني **شايم بيرمان** " **Chaim Perelman**" بعد أن اكتشف البعد التوجيهي والتدريسي خاصة في الميادين العلمية التي تحتاج إلى تغير قناعات معينة عن طريق نظرية الحجاج التي تهتم بالتقنيات الخطابية التي تتيح إثارة أو زيادة اذعان العقول للأطاريح للحصول على التصديق[14].

ففي "تحليل الخطاب ينظر إلى الإقناع على أنه ناتج سيرورات عامة من التأثير فالخطاب الإقناعي هو خطاب تم بناؤه بقصد الإقناع أي بقصد التواصل والتفسير"[15].

وحتى يتمكن قارئ النص الحجاجي من كشف الدلالات واعتماد المقاربة الحجاجية يجب أن يدرك تلك التقنيات التحليلية للنظرية التي تمكنه من وصف التراكيب النصية وتحليلها وفق النظريات العاملة على المقاربات النصية.

ولابد للمحلل من التركيز على اللغة الطبيعية أو اللوغوس لأن الحجاج النصي أو اللغوي يبنى عبر مجموعة من الروابط والمؤشرات التلفظية أو الوسائل المنطقية...ولابد من الاستعانة بنظرية سياق التلفظ كما عند بنفينيست " **Benveniste**"بتحديد التلفظ وطبيعته وسياق تواجده وكذلك خصائص المتلفظ إليه، وتبيان الإرسالية وسياقها الزماني والمكاني والدلالي"[16].

فالحجاج نظرية كانت أينما وجد الإذعان مقترنا بكل أنواع الخطاب شفويا كان أو كتابيا مركزا في ذلك على البلاغة والمحاججة ومن هذا المنطلق أوجد **مايير** مفهوما جديدا

للحجاج بناء على التعامل مع اللغة والذي يخضع عنده إلى مستويات متباينة فهناك ما يشترك فيه الناس على حد سواء، وهناك ما يختص بالخاصة كملكة الإقناع مثلا.

تقنيات الحجاج الوظيفي في تعليمية اللغة العربية:

لقد شهدت المناهج التربوية نظريات تعلم كثيرة. وتأثرت طرائق التدريس بهذه النظريات، محاولة الاستفادة منها في المجال التطبيقي ومحاولة الإسهام في رفع مستويات التعلم خاصة بما تعلق بتعليمية اللغة العربية حيث كان التدريس قديما يقوم على أساس سلوكي يعتمد على تعلم واكتساب مجموعة من العادات اللغوية (التلقين) دون مراعاة حرية الانسان وقدراته واتجاهاته وما يحيط به وقد كبلت هذه الطريقة إمكانيات المتعلم الذي يملك ما لا يعد من الالفاظ والأساليب، وبعد ذلك ظهرت التوليدية التحويلية لتثور على المناهج السلوكية القائمة على المثير والاستجابة لتثبت أن اللغة كنظام كانت في العقل مرتبطة بالسياق، بخلاف الطريقة المعيارية القائمة على الحفظ والتلقين وهذا ما جعل اليوم مدارسنا تعاني وتجد عسرا في تدريس اللغة بصفة عامة والذي يعود أساسا إلى طريقة التدريس واعتماد سبل ووسائل بدائية اقتصرت فيها المقررات التربوية على المعلم والمنهج مقصيه بذلك اهتمامات المتعلم.

ويقسمها **بيرلمان** إلى قسمين تقنية طرائق الوصل وتقنيات طرق الفصل "الأولى ما يتم به فهم الخطط التي تقرب بين العناصر المتباعدة في الأصل لتمنح فرصة توحيدها من أجل تنظيمها وكذلك تقويم كل منها بواسطة الأخرى سلبا أو إيجابا وتقنيات الفصل هي التي تكون غايتها توزيع العناصر التي تعد كلا واحدا أو على الأقل مجموعة متحدة ضمن بعض الأنظمة الفكرية أو فصلها أو تفكيكها"[17].

وهناك تقنيات أخرى وآليات حجاجية كثيرة كألفاظ التعليل والأفعال اللغوية والوصف وغيرها وتقسيم الكل إلى أجزاء والاستعارة والبديع و....بالإضافة إلى الوسائل اللسانية كالإحالة والحذف والوصل والتكرار والقياس والتمثيل وغيرها من التقنيات والآليات التي تحتاج إلى نظرة حداثية واعية وفق المقاربات النصية. وأمام هذه الإمكانات الهائلة للحجاج وجب على الباث إيجاد أنجع الحجج وأنواعها مدعما ذلك بالأدلة الدامغة حيث تخضع لنوع من الترتيب السلمي بعد ان تنتقى وتشحن ليتحقق المراد. يقول عبد الهادي الشهيري: "والمرسل قد يواكب آلية الحجاج باستراتيجيات أخرى الهدف منها التوصل إلى الإقناع كأن يلجأ إلى ما يسميه البلاغيون بالاستدراج وفقا لما يقتضيه مبدأ التأدب مع المرسل إليه "[18].

آفاق الحجاج بين البلاغة العربية والنظريات الحديثة: يعتبر الحجاج الأثر البالغ في التاريخ اللساني التداولي خاصة ما تعلق بالمقاربات النصية ذات الشكل الاقناعي. فهو يهتم بأساليب الإلقاء وتقنيات اختيار الحجج الدامغة وسيلته في ذلك اللغة بمختلف مظاهرها.

وربما هذا ما دلت عليه نظرية **اوزفالد ديكرو**"Oswald Ducrot " عندما قال "ان اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية أي أن هذه الوظيفة مؤشر لها في بنية الأقوال نفسها وفي المعنى وكل الظواهر الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية والدلالية "[19].

وهذا ما جعل النظرية الحجاجية أقرب إلى المجال التداولي. ولا ريب أن للبلاغة العربية كثيرا من الفضل في نشوء أنواع من الأساليب الحجاجية والجمالية حيث اهتم العلماء ببناء المستويات اللغوية بأنواعها مركزين على المعنى وآليات التأثير والإقناع خاصة ما تعلق بفن الخطابة مما جعل البلاغة العربية تبلغ عنان النضج بخلاف البحوث الغربية في هذا المجال والتي غرقت في أوحال الفلسفة والمنطق. ف" رغم توفر اللغة على فرص للتلاعب والمناورة إلا أن الحجاج المقصود هو ما يتكئ على الكفاءة التداولية لإيضاح الحجج وكشف الأمور وإبعاد اللبس ليصبح بذلك فعلا تأثيريا "[20].

ولا تكاد تخلو المصنفات التراثية من بحوث الحجاج أو الحجة خاصة ما تعلق بالمسائل الخلافية الفكرية واللغوية والنحوية أو حتى في علوم الحديث والمسائل الفقهية وعلم الكلام وقد انتشر بين الباحثين والعلماء الجدل وقامت المناظرات واستعملت الحجج ردا على الخصوم خاصة ما تعلق بالمتشابه وقد وُظفت مختلف الآليات والتقنيات الحجاجية وصولا للترجيح.

أما الحجاج في الدرس البلاغي المعاصر فقد برز الاهتمام به من خلال الحقلين النقدي واللساني خاصة وفي مجالي المشافهة والكتابة. وقد حصل هذا الاهتمام بعد الثورة التي عرفها الدرس اللغوي وكما هو معلوم فان البلاغة العربية شهدت تطورا ملحوظا بفعل الدراسات القرآنية وانفتاحها على الحضارات الأخرى (كتب ارسطو مثلا) ومن تجليات ذلك التأثير في المصنفات العربية مثلا بدءا من "مجاز القرآن " لابي عبيدة ووصولا إلى منهاج البلغاء "للقرطاجني وعقود الجمان " للسيوطي[21]. فقد أنتج ذلك المزج والتلاقح بين الحضارات بلاغة عربية ذات أبعاد تداولية.

ولقد اهتم اليونان بفنون الكلام كالشعر والخطابة واعتمدوا في ذلك أفكار سقراط وأرسطو هذا الأخير الذي قدم تصورا مجردا قدم فيه الفكر والعقل بعيدا عن المحسوسات، بالإضافة الى السفسطائيين الذين تميزوا بالخبرة الجدلية فتطورت البلاغة ونمت الأفكار واتسعت بلاغة القول معتمدين في ذلك كل طرق الحجاج. فقد أسّس أرسطو للحجاج بناء على الاستدلال مراعيا في ذلك الحالة النفسية والاجتماعية للمتلقي وهذا ما حمّل العلماء على اتباع الإرث الأرسطي وإحيائه.

فعند الغربيين تحديدا بدأ الحجاج في التطور والتجدد والخروج من تلك النظرة الفلسفية الضيقة خاصة عند **بيرلمان** و**تيتيكا** حيث" مثلت الحجاجيات اللسانية مجاوزة

حقيقية لكثير من الأفكار التي تبلورت في إطارهما لتتمكن بفضل ذلك من رسم معالم دقيقة لدرس جديد مستقل بموضوعه درس ينطوي على نضج نظري يخرجه من النظريات الفلسفية ليلحقه بالممارسة العلمية اللسانية "[22]. وهذا ما سمح بإعادة هيكلة تلك النظرة اليونانية القديمة وإعادة قراءتها وفق المقاربات المعاصرة على أساس بلاغة التأويل والتلقي باعتبار نظرية الحجاج تسهم في توجيه النص اعتمادا على تقنية الإقناع والتأثير.

الحجاج والمناهج التعليمية: ينبغي على العاملين في حقل التعليمية استثمار تلك النجاحات التي تتحقق بفضل أساليب الاقناع والتأثير ومختلف تقنيات واستراتيجيات النظرية الحجاجية في مناهج التربية التي أصيبت بالعقم حيث سدّت كل قنوات التواصل بيت المتلقي والباث وصار الأستاذ يجد معضلات جمة في توصيل المعلومة إلى جمهور المتلقين وإن أرسلت فلا يمكن أن تسلم من متاهات التأويلات التي تشكل حواجز تسد قنوات الاتصال فتحجب رؤى الفهم وقد استعملت الكثير من السبل للخروج من هذا النفق الضيق دون أي نتيجة تذكر.

ولا شك أن أسباب الفشل في تعليمية اللغات واللغة العربية على وجه الخصوص تكمن في قصور المناهج من جهة وعدم تقبل المعلومة من جهة أخرى إما لعدم الإقناع والتقبل بما يدرس أو لعجز الباث في ابتكار قنوات وتقنيات التواصل تقليصا للفجوة وسدا للهوة بين المتكلم والمتلقي وهذا ما تعمل عليه النظريات الحجاجية واللسانيات التداولية في جعل العقول تتقبل ما يطرح عليها أو تزيد في درجة الإذعان. فأنجح الحجاج ما وفق في جعل درجة حدة الإذعان والاتباع تقوى لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب، فبالإضافة إلى تحقيق درجة الإذعان والتسليم للمعلومة تحول تلك المعلومات (الخطاب) إلى أفعال إيجابية، وإن تهيئة الأذهان وشدّ الانتباه للولوج إلى الدرس (وضعية الانطلاق) مرحلة جدّ حساسة و"أن اختيار هذه المقدمات وطريقة صوغها وترتيبها له في حد ذاته قيمة حجاجية[23].

"وإذا كانت تتجلى كفاءة المرسل التداولية في صناعة الخطاب. فإنما تتجلى الكفاءة التداولية للمرسل إليه عند تأويل الخطاب للوصول الى مقاصد المرسل وإدراك حججه...وهذا ما يجعل العملية التواصلية أكثر فاعلية من خلال وضوح المقصود ونجاعة الأدوات الاقناعية وهو ما يعطي عبارات من هذا النوع قيمتها الحجاجية هو توظيفها في السياق [24].

فلا يمكن أن تخضع الوحدات اللغوية إلى العشوائية وانما يختار الباث المفردات الأكثر تأثيرا وفق اعتبارات مدروسة ويظهر ذلك جليا على مستوى اختيار المفردات والتي تمكن المتلقي من شحنها بحمولات استعارية أكثر دلالة من غيرها تخضع للبعد الدلالي والحجاجي للمفردة، والتداولية تمنح إمكانات معتبرة كاختيار الأدوات والأليات التي تتحكم في الخطاب وتفعيلها

وظيفيا، كما أن الحجاج آلة وواسطة يستعملها المحاجج بناء عل فعل تأويلي قرائي اندرجت تحته مفاهيم يحاول إلزام غريمه بها وإبعاده عن تأويلات ومقاصد أخرى بعد دحضها بالحجة.

لقد سمحت التداولية للغة العربية أن تنفتح على أبعاد حديثة، في العملية التواصلية خاصة ما تعلق منها بالعملية التعليمية التعلمية وجعلت آفاق الخطاب تتسع أمام الموجه والمدرس لهذه اللغة تسهيلا لعمليات التواصل وسبل إيصال الكلام للمتلقي وكذا طرق الاستعمال. ومن الإشكالات التي آرقت الباث كيفية فتح قنوات التواصل مع المتلقي وسبل إيصال المعلومة دون الخروج عن التأويل المراد من خلال السياق، مركزة في ذلك على ملابسات وسياقات الكلام، ووظيفة اللغة هي كلها استراتيجيات تعمل عليها التداولية وكذا نظرية الحجاج لتفعيل المناهج التربوية وطرق التلقي ونجاعة أقطاب الدائرة التواصلية الأستاذ والمتلقي والوسط العائلي والتربوي، والعمل على تجاوز مطّبات واختلالات المقررات التربوية القديمة والاستفادة من كل القدرات التواصلية التي من شأنها تفعيل العلاقات التواصلية بين أقطاب المثلث البيداغوجي.

لقد تجاوزت التداولية المفاهيم المتعلقة بالمقررات التربوية القديمة والتي اتخذت حيزا كبيرا من الزمان والمكان في دراستها للغة دون التركيز على الملابسات والظروف المحيطة بهذا الكائن وهذا ما انعكس سلبا على المناهج الدراسية التي ولجت في دوامة التغيير والتبديل لا غير. فقيمة المجتمع الحقيقية تتحدد بناء على ما يستهلكه من خلال البرامج التعليمية "يمكن معرفة أي مجتمع كان من خلال معرفة نظامه التربوي" [25].

وعليه بات لزاما على المهتمين بتعليمية اللغة العربية السعي إلى تفعيل المحيط بما يتلاءم والثقافة الكونية أي التفتح على ما توصلت إلية البرامج التعليمية العالمية والتي تعتمد على التكنولوجيا وطرق التعامل الحديثة مع المعلومة دون إغفال التقنيات الحجاجية التي تعتبر من انجع الوسائل في التعليم علينا أن نبتعد ولو ظرفيا عن النمطية والرتابة في تعليمية اللغة ومحاولة التحرر من صنم الشاهد الشعري والمثال الروتيني ضرب" زيد عمر" الذي ساير وواءم حقب زمنية غابرة، علينا ان نتخلى عن المفاهيم التقليدية للبلاغة واتباع الوجهة الحجاجية من خلال ترسيخ تقنيات الحوار والاقناع، لأن الأستاذ المرشد والمتلقي المتعلم قطبان متألفان في فضاء متجدد صانع للمعرفة التي تخضع لمبدأ النسبية ومن هذا المعتقد يشعر المتعلم بآفاق الحوار تنفتح أمامه فيحاول بذلك أن يشارك في بناء المعلومة من خلال اثبات رأيه عن طريق المحاججة.

وركزت اللسانيات التداولية في نظرياتها على الجانب الوظيفي للغة وعلى الكيف لا الكم فيما تعلق بالجانب التداولي وطرق استعمال الكلام والمهارات والقدرات التي من شأنها تفعيل وإنجاح

العملية التعليمية التعلمية ولا يكون ذلك إلاّ من خلال الاستثمار في الجانب التكنولوجي، والعمل على تجاوز مطّبات واختلالات المقررات التربوية القديمة والاستفادة من كل القدرات التواصلية التي من شأنها تفعيل العلاقات التواصلية بين أقطاب المثلث البيداغوجي.

ثم تتضافر النظريات للوصول إلى توليفة وآلية تكتمل من خلالها الدائرة التواصلية خاصة إذا تم استغلال الأليات الحجاجية وتقنيات التأثير والإقناع والاغراء واستمالة المتلقي.

ولقد أفادت النظرية التداولية وعملت على تطوير وتفعيل المناهج التربوية وكذا البحث في المقاربات البيداغوجية والتي من شأنها المساهمة في توطيد العلاقات التربوية ودراسة سبل تحقيق تلك الفعالية التي تسمح بتحسين المردودية دون إهمال الجانب التواصلي القائم على اللغة والتي هي مجموعة من العلامات وكيفية تأويلها وطرق توصيل ونجاعة المعلومة وأحوال الكلام المرتبطة بالسياق والمقاصد. ومن هذا المنطلق يرى العاملون على إنجاح المعلومة ووصولها دون أي اعتبارات أو عوائق تشوه الكلام لان المعنى يخضع لثلاث مستويات المعنى اللغوي المأخوذ من دلالة الكلمات والضمائم والجمل ومعنى الكلام، وهو المعنى السياقي، ثم المعنى الكامن او الموجود بالقوة او مراد المتكلم[26].

اعتمدت النظريات التوليدية في دراسة اللغة على جوانب كثيرة بما في ذلك المتكلم والمخاطب بالإضافة الى الخطاب باعتباره وسيلة التواصل والذي هو عبارة عن مجموعة من الأقوال او الملفوظات غير اللغوية، بالإضافة الى علامات وايقونات غير لغوية خارجة عن الخطاب ولكنها تساهم في تكامل الدائرة التواصلية بين المتكلم (المدرس) والمتلقي (المتعلم) تحقيقا للفهم ووضوح الصورة ولا يكون ذلك إلا من خلال الربط بين الحياة الاجتماعية وطبيعة اللغة حتى يتحقق المعنى المراد، " إن العودة الى الخارج الملفوظ (خارج الخطاب) لكشف المحدودات الاجتماعية والأيديولوجية التي تتحكم في انتاج الملفوظ وهو ما يبين أن العلاقة التي تصل الدلالات في الخطاب بالظروف الاجتماعية والتاريخية ليست بثانوية ولكنها مكونات من الدلالات نفسها وهو ما يتبلور في عنصر السياق "[27].

فالسياق على أنواعه سواء لغوي أو غير لغوي له أهمية بالغة في تفعيل المناهج التربوية لتحقيق آفاق كثيرة في إفهام اللغة العربية عن طريق الاهتمام بالأفعال الكلامية ومحاولة توسيع دائرة المعنى الضيق إلى المعنى التداولي باعتبار الظروف المحيطة باللغة او السياقات والصور الكلامية وصولا الى تحقيق الفعالية لهاذا النظام. لأن "الكلام يضمن الحياة لهاذا النظام الذي هو اللغة "[28].

والمادة اللغوية أو النص يحتاج إلى تمكن المتكلم من اختيار التراكيب وفق ما يلائم ويتناسب مع المراد " فالحجاج لا يتم شكلا إلاّ إذا استطاع المتكلم أن يبني الوحدات اللغوية

وفق نسق مضبوط ومحكم "[29]. فالسلالم الحجاجية تمكن الباث المبدع من امتلاك خيوط واسرار اللعب على أوتار القارئ فيحسن توظيفها حسب دعواه وما تقتضيه حمولة الخطاب واستراتيجية النص عموما. فيصير النص في غاية الإثارة فيتحقق الاقناع الإرادي دون الضغط أو الإكراه على الامتثال فيخضع المتلقي ولا يبدي أي مقاومة فكرية. والباث يستعين بترسانة من الحجج لإلزام المتلقي بالإقرار والتصديق والانقياد إلى حد الاذلال للفكرة المثبتة ثم التلبس بها، يجب عليه أن يشعر بروح المسؤولية مبتعدا عن الاحتيال والمغالطة والتلاعب بالمتلقي باعتبار أن صاحب الخطاب الحجاجي يستهلك سلطة تجعله يعتلي تلك الفوقية ولو لفترة معينة حيث القراءة والإذعان وهو بذلك يمارس الفعل الحجاجي والذي يعتبر عند بلونتين "Plantin. C": "العملية التي من خلالها يسعى المتكلم إلى تغيير نظام المعتقدات والتصورات لدى مخاطبه بواسطة الوسائل اللغوية"[30].

ونظرية الحجاج أو ما يعرف بالبلاغات الجديدة والتي تركز في تداولية الخطاب على تقنية الاقناع دون إغفال ميكانيزمات اللغة الحجاجية وهي آليات تروم التأثير في المتلقي واستمالته وإلزامه وهذه التقنية تعد ركيزة النصوص المتضمنة للمقصدية حيث تقوم على خرق أفكار القارئ وأفق التوقع لديه وزرع فكرة معينة ثم إبطال سلوكيات أخرى كانت في الماضي القديم من المسلمات لديه ولا يتم ذلك إلّا باتباع سبيل المفاوضة والغلبة ثم الاقناع. وهذه التقنية التي تعتمدها النظرية جعلت منها أهم وسيلة تتخذها الخطابات السياسية والقضائية والاشهارية والأيديولوجيا وغيرها للدعاية والتواصل والتأثير. وهي في كل هذا تريد أن تتجاوز بذلك الحجاج المعياري والذي يركز على التأثير في السامع عن طريق الخطاب الإقناعي هو حمل المستمع (المتلقي) أو القارئ على الامتثال لفكرة حتمية سواء بالاتباع أو الترك. إن تأثر المتلقي يتم من خلال نوعية الحجج والتي في كثير من الأحيان يختارها المبدع وفق ميولات القراء. وكأنها طعم يتدرج بها الباث لإثارة المتعة لدى المرسل اليه.

يرى **شارودو**"CHARAUDEAU" أن الخطاب الحجاجي يقوم على ثلاثة مبادئ رئيسية مبدأ الغيرية (المتكلم والسامع) ومبدأ التأثير حينما يقترن الملفوظ بوظيفة التأثير على غير، ومبدأ السيطرة الذي يقوم به المتكلم حينما يمتلك سلطة اللغة والحقيقة، لأن الذي يمتلك زمام اللغة يمتلك سلطة التصرف والأمر والنهي...عن طريق التأثير والإقناع[31].

إن الحجاج توجيه صرف تفضحه البنية اللغوية المجردة، وتصريف المتكلم لملفوظه عبر عوامل حجاجية، ومواضع متواضع عليها بين المجموعة المستعملة للغة واحدة. وبناء على ذلك تتجه هذه النظرية إلى إبراز كيف أن البنية اللغوية هي التي يعود إليها سلطان الكلام الحجاجي فما من ملفوظ إلاّ وهو موجه نحو نتيجة معينة [32].

فبالإضافة إلى قصور المناهج التربوية يعجز الكثير من مدرسي اللغة العربية في فن إيصال المعلومة إلى مجموع المتلقين والأسباب في ذلك متشعبة فلو تطرقنا إلى الجانب النفسي والاجتماعي للمخاطب والذي أهمل ولم يرق إلى الاهتمام المطلوب وهذا ما ركز عليه كثيرا **بيرلمان** بمطالبة المتكلم بأن يعي مقامات مخاطبيه ومستوياتهم المختلفة.

ويقول **أبو هلال العسكري** " البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن "[33]. فمن غايات البلاغة إيصال التصور كما هو في ذهن المتكلم إلى المتلقي ولا يكون ذلك إلاّ من خلال التركيز على تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم من خلال خصائص اللغة وكذا أفعال الكلام والظروف السياقية وصولا إلى نتيجة حتمية وهي التسليم والاذعان.

آفاق نجاح تعليمية اللغة العربية في ضوء النظرية الحجاجية: إذا أردنا تحقيق النجاعة للعملية التعليمية التعلمية للغة العربية علينا أن نبتعد عن تلك النمطية في دراسة اللغة، ونخرج من الدائرة المعيارية والتي لازمت المناهج القديمة من حيث الكيف والكم فضيقت الرؤى، حيث جعلت اللغة مجموعة من الجمل الثابتة والمنعزلة عن العالم الخارجي فأقصت كل أبعاد وسياقات الكلام من العملية التربوية إن صح التعبير وهذا ما اشتغلت عليه النظرية التداولية.

إن "التداولية والأفعال الكلامية تتخذ أساسا لها الاستعمال، والاستعمال ينبني على المقاصد فالقصد هو في كل لحظة من اللحظات استعمال للغة"[34].

وبالإضافة إلى السياق فإن التداولية تدرس طرق التوصيل والافهام وكل ما تعلق بالمعنى بمفهومه الواسع والقصد التواصلي، اهتمت النظرية التداولية بالكلام الذي يسمح ويتيح بدراسة اللغة دراسة عميقة تركز على المتكلم والكلام وكيفية الكلام والمتلقي وكيفية التوصيل وكذا المكان والزمان. وعليه يمكن أن نقول إنها نقاط تلاقي بين دراسة المناهج التي تسعى الى الارتقاء بالعملية التعليمية التعلمية والتداولية، كما تسعى النظرية التداولية إلى تحقيق وظيفة التواصل وكذا الوظيفة الاجتماعية للغة.

إن أشد ما يعاب على المناهج القديمة صعوبة تعليمية اللغة العربية رغم محاولة التجديد وتحديث الوسائل لكن دون ان تتحقق الأهداف المرجوة حيث تعددت الرؤى والأفكار التي زادت الأمر غموضا وتعقيدا دون البحث في كيفية التوصيل والوضوح وهذا ما جعل Ch. Sanders Peirce يقول: "كيف نجعل أفكارنا واضحة "[35]. تلك البدائية في الإلقاء والتوصيل والتي ترتكز على الكم والحشو دون اعتبار لنوعية المتلقي وظروفه الثقافية المختلفة وأساليب المحاورة مما يتطلب من الباث للخطاب الوعي لوظيفته.

يجمع القائمون على صناعة وصياغة المناهج التربوية على ضعف المستوى اللغوي للمتعلمين دون نجاة المعلمين من ذلك وعلى وجود ثغرات في تعليمية اللغة العربية حيث اختلفت الرؤى وتباينت حول المعوقات والأسباب يقول **شكري فيصل**: "من المؤسف أن يكون واقع شبابنا الذي يتخرج من الثانويات وليس عليّ من حرج أن أقول من الجامعات أنه لا يتقن لغة ما حتى العربية لقراءتها قراءة تدبير، ولذلك فهو لا يقرأ إذا قرأ وهو لا يفهم وإذا فهم فهو لا يعقل وإذا عقل فهو لا يتفاعل.. لأن الشرط الأول في تحقيق التفاعل هو امتلاك اللغة "[36].

وعليه يجب رصد الظواهر السلبية للمعلم والمتعلم على حد سواء دون إغفال المادة المقدمة ولا أعني اللغة في حد ذاتها ولكن طرق توصيلها، والعمل كذلك على تقويم الكتاب المدرسي والاهتمام بالجانب التطبيقي وتنمية المهارات اللغوية لدى المتعلم فما يقدم للتلاميذ من الأشكال اللغوية التنظيرية كعلم الأصوات والتراكيب الدلالية الذي هو في أمس الحاجة إليها ولكنها لا تؤدي بالضرورة إلى نتائج دقيقة وناجحة إذا ما لم تقرن بالجانب الاجرائي، لأن هناك فرق بين علم اللغة واللغة. يقول محمود فهمي حجازي: "أن النقل المباشر لنتائج البحث اللغوي أو لمناهجه إلى تعليم اللغات يعد من الأخطاء وذلك لأن النحو العلمي يقوم على نظرية لغوية تنشد الدقة في الوصف اللغوي وتتخذ لتحقيق هذا الهدف أدق المناهج. فالنحو التربوي يركز على ما يحتاجه الدارس يختار المادة المناسبة من مجموع ما يقدمه النحو العلمي ويعد لها طبقا لأهداف التعلم وظروف العملية التعليمية، فالنحو التعليمي يقوم على أسس لغوية ونفسية وتربوية، وليس مجرد تلخيص للنحو العلمي"[37].

ويعود ذلك في مجمله إلى عزل اللغة والمتلقي عن الواقع الاجتماعي والثقافي وعن كل ما يفرضه السياق مما يعود سلبا على المتلقي الذي يفقد الجانب التفاعلي الإدراكي وفي الوقت نفسه يصاب بزهد المهارات الاستعمالية للغة.

يقول **بيث كوردر**: "لا نهتم فقط بتعليم الطالب إنتاج كلمات مترابطة نحويا بطريقة مقبولة، بل بتعليمه أداء أدوار تعليمية "[38].

وقد أثبتت النظرية أن الاستعمال أو الجانب التطبيقي كفيل بأن يكسب المتعلم مهارات لغوية فائقة تجعله يدعم قدراته وإمكاناته الإبداعية فلا "يؤدي تعليم اللغة نتائجه ما لم يحصل مواءمة بين المعلم والمنهج والكتاب والطريقة ودوافع الدارس للتعليم بحيث يستطيع أن يفهم المسموع ويفهم المقروء ويستطيع التعبير عن نفسه بكلام عربي قديم "[39].

ولقد اهتم الاتجاه التداولي بالفعل الكلامي كوجه من أوجه اللغة والظروف المحيطة بها والتي تساعد على مقاربة المعنى الذي يتحقق به التواصل أو يبلغ به المراد في الساحة التعليمية عامة وتعليمية اللغة العربية على وجه الخصوص وقد أسهمت هذه النظرية في حياة اللغة

وتفعيلها عن طريق الجمع بين سياق الدرس اللغوي على اختلاف مستوياته وسياق غير لساني كالاجتماعي والثقافي ورصد العلاقات بين هذه السياقات وصولا إلى تحقيق الفهم لِمَا يقدم كمادة دراسية ولا يكون ذلك إلاّ بمهارة الأستاذ في طرق التوصيل يقول هادي نهر: "قدرة المتكلم على معرفة اللغة وكيف يستعمل اللغة، ومعرفة ما يجب قوله في ظروف معينة ومتى يجب عليه السكوت ومتى يجب عليه الكلام، إنما المعارف التي تزداد على الكفاية اللغوية الصرفة المتمثلة في ثراء الرصيد المعجمي عند مستعمل اللغة وتمكنه من قواعد لغته، والسيطرة على المعاني ووضوح خطابه " [40].

ومن شروط إنجاح الخطاب ولتكتمل الدائرة التواصلية الخطابية يجب على الباث أن يكون محيطا بالموضوع عارفا ملما بملابساته حتى تحصل الفائدة ويتحقق التأثير الذي يستجلب المتلقي (السامع).

وظائف الحجاج التعليمية: للحجاج وظائف متعددة يسعى من خلالها المحاج لتبديل وجهة نظر المتلقي بطريق القهر النظري، وحمله على الاتباع والإذعان عن طريق وظيفة الحجاج الإفحامي. وصولا إلى إرباك المتعلم وحمله على قبول المعلومة وتوجيهه نحو الفعل. وقد اقترح بيرلمان حلا وسطاً لترسيخ قيم الحجاج في التربية، يقوم على المزاوجة بين حجة السلطة التي يمارسها المدرس، باعتبارها تزود المتعلم بالمعارف، والتقنيات الضرورية للحجاج، وبين التكوين الذي ينبني على إعمال العقل، وجعل التلميذ فاعلا في العملية التعليميةِ الحجاجية: إن نظريات التربية أحادية الجانب، التي لا تثمن سوى التكوين بحجة السلطة، أو التكوين الذي يفترض عقلا وطبيعة بشرية معطاة، لا توضح سوى مظهر واحد من المظاهر التي تطرحها التربية. فوحده التعاون، والاستعمال المتوازن للمنهجين، يمكننا من تكييف دور المدرس، مع درجة نضج تلميذه[41].

إن وظيفة الاقناع التعليمي قائمة على مخاطبة العقل والوجدان بالمنطق وفعل الحجاج يفرض على المخاطب طريقة وتقنية معينة في الحوار لأن نظرية الحجاج في اللغة مرتبطة بمادة اللغة نفسها أو ما يسمى نظرية الأفعال اللغوية

"تنتمي دراسة الحجاج إلى البحوث التي تسعى إلى اكتشاف منطق اللغة أي: القواعد الداخلية للخطاب، والمتحكمة في تسلسل الأقوال وتتبعها بشكل متنام وتدريجي، وبعبارة أخرى، يتمثل الحجاج في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب"[42]. إن الدراسات الدلالية الحديثة والتي قطعت أشواطا كثيرة حول تعليمية اللغة فتجاوزت كلّ تلك الأساليب والمناهج وحتى الألفاظ أو ما يسمى الأمثلة التي يرتكز عليها الأستاذ لتقريب المعنى لأن الأقوال اللغوية تحمل مؤشرات لسانية ذات طابعا حجاجيا. والوظيفة الحجاجية في تعليمية اللغة عموما لا

تقتصر على الجدل الجاف والإقصاء المجحف للطرف الآخر ولكنها تخضع لمبدأ النسبية والتحاور والمشاركة في بناء المعلومة وهذا ما افتقدته المقررات القديمة دهرا من الزمن فالحجاج اللغوي "نسبي ومرن وتدريجي وسياقي بخلاف البرهان المنطقي والرياضي الذي هو مطلق حتمي" [43]. وبعيدا عن التراكمية والمعيارية تسعى النظريات الحجاجية والتداولية إلى توفير المعارف وفق مبدأ الحوارية لتفعيل الفعل التعليمي ومحاولة إخراج اللغة العربية من تلك القداسة التي جعلتها حبيسة الرياء الديني وكبلت بذلك كل محاولة تجعلها في مصاف اللغات العلمية.

للحجاج علاقة ترابط بين الأقوال في الخطاب يؤطرها عمل المحاجة وتحكمها قيود لغوية. من هنا يركز **دوكرو** على أن الحجاج إنما يكمن في بنية اللغة ذاتها لا في المحتوى الخبري للأقوال ولا في المعطيات البلاغية المقامية. إن تقنيات الحجاج تقنيات خطابية مستمدة من بنية التراكيب اللغوية ذاتها التي يتم توظيفها. وعلى هذا الاعتبار، يصبح الحجاج بعدا جوهريا في اللغة ذاتها، فّينتج عن ذلك أنه حيثما وجد خطاب اللغة، فإن ثمة استراتيجية معينة نعمد إليها لغويا وعقليا؛ إما لإقناع أنفسنا أو لإقناع غيرنا، وهذه الاستراتيجية في الحجاج نفسه، وهي تستمد خصائصها وقيمتها من الحقل الذي تتحقق فيه ويعطيها الشرعية وقد يكون هذا الحقل هو الحياة اليومية للناس وقيمهم أو يكون الفكر والتفكير من أبسط درجاته إلى أكثرها تعقيدا أو تجريدا[44].

فلكي يتعلم المرء ولكي يعرف، ينبغي أن يدرك ويستدل، وكل إنسان مزود منذ ولادته، بكل ما ينبغي لكي يجيد الإدراك، ويجيد الاستدلال...ووفق هذا التصور، ليس المربي المثالي من يكلَّف بنقل التقليد وتكوين عقل تلامذته، بل إن دوره هو استعمال قدرات الطفل وحفظها في منأى من الآراء الخادعة[45]. وهذا ما يسمح بإعطاء المتعلم هامش لإبداء الرأي ومساحة واسعة من خلال حرية النقاش أساسها الحجاج. إن تعلم اللغة العربية في هذا الوسط التكنولوجي المتسارع ووفق تطور الدرس اللساني التداولي يفرض تجاوز الطرق البدائية في التلقين والتدريس لينفتح على تقنيات حجاجية كبيرة في العملية التعلمية واستثمارها في تفعيل اللغة العربية والتركيز عن المضامين والقيم والابتعاد عن الدراسة السطحية والتخلي عن المفاهيم المعيارية القديمة والانفتاح على المقاربات العلمية الحديثة.

وإذا أردنا أن نعيد للغة العربية سابق مجدها وأن نحافظ على الأمة من الضياع اللغوي يجب أن تتضافر الجهود وتتقارب وجهات النظر وأن نستنفد من الدراسات العلمية الأكاديمية الحديثة ومن المناهج اللسانية بما يتناسب وخصوصية لغتنا ثم نحاول التقويم وترشيد مناهجنا وأن نربط بين جوانب الموضوع (المادة) والمنهج التربوي وطريقة التدريس ثم محاولة

تأهيل المدرس وإعادة تكوينه بما يبعده عن تلك النمطية الكلاسيكية وتلك العشوائية والتراكمية والاعتماد على الارتجالية واللامنهجية التي أكل عليها الدهر وتجاوزتها المهارات والتقنيات العلمية والتكنولوجيا الحديثة.

- ✓ وما يمكن استخلاصه من خلال هذا الدراسة ابراز ابعاد الحجاج والاستدلال وكذا التقنيات والآليات التي تمكننا من مقاربة بها الخطاب الحجاجي وفق النظريات التعليمية والمناهج التربوية امام هذه الإمكانات الهائلة للحجاج.
- ✓ تغيرت الحمولة الدلالية لمصطلح الحجاج قديماً وحديثاً على مستوى الممارسة والتنظير، حيث تغيّرت قوانين الحجاج ومفاهيمه تبعاً لمتطلبات العصر والسياق وحاجة الناس لهذا النوع من التواصل في شتى مجالات الحياة.
- ✓ لاريب أننا إذا حاولنا الاستفادة مما اثبتته النظريات الحديثة العاملة في مجال مقاربة النصوص وأساليب الاقناع لتمكنا من تقليص الفجوة الحاصلة بين المتكلم والمتلقي في مقام التواصل.
- ✓ تمكن المتعلم من استيعاب اللغة من خلال الاستعمال والتواصل وتقنية الحجاج.
- ✓ محاولة التوازن بين النظري والتطبيقي وتقريب وجهات النظر بين النظرية والاجراء.
- ✓ تطوير تعليمية اللغة العربية بما يساير البحث العلمي والتطور التكنولوجي والاستفادة من النظرية الحجاجية وتجربتها الناجحة على اللغات الأخرى.

مراجع البحث وإحالاته:

1-ينظر: شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب، دط، تونس، 1997م. ص: 59.

2-ينظر: التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صابر الحباشة، مركز صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سورية، ط1، 2008م. ص: 22.

3-ينظر. الحجاج في القران من خلال اهم خصائصه الاسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2001م، ص: 169.

4-ينظر: المرجع السابق، ص: 58.

5-لسانيات النص المدخل الى انسجام الخطاب، محمد الخطابي، المركز العربي، بيروت، لبنان، ط1991، 1م، ص: 127.

6-المرجع نفسه، ص: 61.

7 –Molinie ocorges، 1992، dictionnaire de rhétorique، Le livre de poche، paris: librairie générale française، p: 67

8-مجلة دراسات أدبية، مركز البصيرة للدراسات والبحوث، ع1، 2008م، ص: 51.

9-مقدمات في الحجاج والنص. عمر بلخير، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، 2011 م، ص: 45.

10-ينظر: اعراب حبيب. الحجاج والاستدلال الحجاجي، عالم الفكر، الكويت، ع 1، 2001م، ص: 101.

11-الحجاج في البلاغة المعاصرة، محمد سالم محمد الأمين، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بنغازي، ليبيا، دط، 2008م، ص: 7.

12-استراتيجية الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004 م، ص: 452.

13-الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، مجموعة من المؤلفين، تح: حافظ اسماعيلي علوي، دار الروافد الثقافية، بيروت، لبنان، ج 4، 2013م، ص: 9.

14-ينظر: الحجاج في التواصل (فيليب بروطون). ترجمة: محمد هشبال، عبد الواحد التهامي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2013م. ص: 23/22.

15-بلاغة الخطاب الإقناعي، نحو تصور نقي لبلاغة الخطاب، حسن المودن، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، دط، 2013م. ص: 22.

16-نظريات الحجاج، جميل حمداوي، شبكة الألوكة، ط2008، 1م، ص: 60.

17 -استراتيجيات الخطاب، مقاربة تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص: 477.

18-المرجع نفسه، ص: 449.

19-اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، دار العمدة للطبع. الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006م، ص: 7.

20-المرجع السابق، ص: 472.

21-ينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة، محمد سالم محمد الأمين، ص: 209.

22-الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، مجموعة من المؤلفين، تح: حافظ اسماعيلي علوي، ص: 79.

23-ينظر: الحجاج أطره ومنطلقاته، عبد الله صولة، ص: 299، 308.

24-ينظر: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص: 449 و476.

25-مقدمات في الحجاج والنص، عمر بلخير، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، 2011م، ص: 45.

26-ينظر محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002م، ص، 46.

27-حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الامل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2005م، ص: 137.

.Arrico Arcani principes de linguistique. Paris: 1972, bibliothèque 2, Scientifique. Payot. p59- 28

29-مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، محمد سالم ولد الأمين، مجلة عالم الفكر، الكويت، عدد: 16، ص: 62.

C. Plantin. L'argumentation. seuil. paris 1996. p14630 -

pouvoir. Paris. Vuibert. 2005. p12 discourt Politique. Les masques du CHaroudeau. Patrick. Le31-

32-ينظر: الناجح عز الدين، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، ط1، 2011م، ص: 30، 31.

33-أبو هلال العسكري الصناعيتين، تحقيق، علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط2، ص: 19.

34-مسعود صحراوي. التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص: 21

35-ينظر: حامد خليل. المنطق البراجماتي عند تشارلز بيرس. دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق، 1996 م، ص: 198.

36-شكري فيصل. تحسين وسائل خدمة اللغة العربية في الوطن العربي في اللغة العربية والوعي القومي، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، ط2، 1986م. ص: 42

37-محمود فهمي حجازي: البحث اللغوي. دار غريب للطباعة والنشر. القاهرة، ط1، 1994 م، ص: 143.

38-بيث كوردر، مدخل الى اللغويات التطبيقية. ترجمة: جمال صبري، مجلة اللسان العربي، الرباط، 1978م، مجلد16، ج1، ص: 207.

39-احمد حقي الحلبي: اللغة العربية وطرائق تدريسها، ضمن اللغة العربية والوعي القومي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 1986م، ص: 371

40-هادي نهر، لكفايات التواصلية والاتصالية دراسة في اللغة والاعلام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. عمان. الأردن، ط2003، 1م، ص: 89.

41-بيرلمان شاييم، "التربية والخطابية"، ترجمة: الحسين بنو هاشم، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، المغرب، العدد: 3، 2013م، ص: 160

42-أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط1، 2006م، ص: 8.

43-المصدر نفسه: ص: 20.

44-ينظر: عمارّة حاكم: الخطاب الإقناعً في ضوء التواصل اللغوي، ص: 141

45-بيرلمان شاييم، "التربية والخطابية"، ترجمة: الحسين بنو هاشم، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، المغرب، العدد: 3، 2013م، ص: 157.